الجزء الثالث　　الاربعاء　　المجلد الاول

# البَاشِئَة

المدير المسؤول
حسين البياتي

منشئ المجلة
ابراهيم صالح شكر

مجلة شهرية جامعة

٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٠　　الموافق ١ ( فبراير ) شباط سنة ١٩٢٢

## ما هي العادة ؟ ...

العادة هي حالة تعرض للنفس ، فاذا طال عليها امـد التكرار نمت ورسخت ، وصارت كالغريزة في حركاتها ونتائجها .

ولكن الفرق بين العـادة ، والغريزة — هو ان الاولى تنشأ بالتكرار والمزاولة تحت سيطرة التعقل والارادة ، — والثانية تصدر عن قوة طبيعية تدفع بنا الى فعل بعض الاعمال من غير مشاركة الارادة والعقل .

وبهذه القوة يرضع الطفل ثدي امه ، وتطير البعوضـة حين ينشق غلافها ، وينطبق جفن العين فيـمنع الجسم الغريب من الدخول اليها .

والعادة التي تتولد بالممارسة والمزاولة اذا طال عليها الامد تكون ملكة في النفس ، فتحاكي الغريزة في سرعة العمل واحكامه .

ولا خلاف في ان صيرورتها الى هذا الشكل يفيد الانسان كل الافادة ، ويعينه على جهاده في هذه الحياة — والا ضاق به الوقت عن اتمام ابسط الاعمال واصغرها .

فاذا كنا مثلاً نرجع في المشي الى حكم الارادة والعقل ، فاننا لا نسير خطوة

واحدة ، او ننقل القدم حتى يستصوب العقل الامر ، وتجزم الارادة به .

وبذلك يشغلنا المشي وحده عن كل شغل سواه .

* * *

يقول بعض الفلاسفة ان اخلاق الانسان انما هى مجموع عادات — وحقيقة هذا القول ظاهرة في ما يرى من مؤثرات العادة في جميع مظاهر الحياة .

فالاغنياء يشيدون القصور الفخمة ، و يزينون قاعاتها بالرياش الثمين ، و يتوسعون في البذخ والترف — ومع ذلك لا يطرب بهم ذلك العيش الرغيد ، ولا ينظرون اليه الا نظرة الصعلوك الى حاجياته الضرورية .

اما اذا سلبوا تلك النعمة ، فانهم يتبرمون و يتذمرون ، وتنقبض نفوسهم انقباضاً اليماً .

وكذلك اذا فاجأت الثروة الطائلة معدماً طفح قلبه سروراً ، وطربت جوارحه ، وطفق ينفق عن سعة متلذذاً منتعماً — حتى اذا طال عليه امد الرغد فقد تلك اللذة شيئاً فشيئاً .

لان الرغد يصبح في نظره من الحاجيات الضرورية المجردة عن كل دواعى اللذة والسرور .

واذا دخلنا بيت بائس مسكين ولم نجد فيه غير اثر الفقر المدقع ، ونظرنا الى صاحبهِ ، ومن حوله الزوج والولد ، رأيناهم على عوزهم وخلوهم من الامل الطيب في المستقبل لا يبالون بعسرهم .

لانهم اعتادوا الضيق والشدة ، كما اعتاد المثري رخاء العيش .

وقصارى القول ان الانسان يعتاد على مؤثرات الشقاء والنعيم فلا يفعلان فيه الا في بادي ظهورهما — كأن الله اراد المساواة بين الغنى والفقير باضعاف قوى الشعور ، واخضاعها لحكم العادة .

اعتبر ذلك بحال السجين لاول دخوله السجن ، فانه يستفدح القصاص ، و يتألم منه شديداً — ثم بعتاده تدريجاً .

بمعنى انه اذا طال عليه الامد لم يعد يشعر بشيء من الانقباض والتألم — كانه لم يبرح من بين ذويه بشطح و يمرح ، حراً مختاراً .

***

ومن العادات ماتأتى صاحبها عفواً ، فتفعل في حاسة من حواسه ، او في عضو من اعضائه بحكم التعاقب ، سواء اراد او لم يرد .

فالراكب في السفينة البخارية يحس في بداية الامر ان صلصلة آلاتها تحرمه لذة الكرى — ولكنه لايلبث ان يعتاد سماع الصوت ، فيستغرق في نومه ، ثم يألفه الى فوق مايتصور ، حتى انه يستيقظ لوقوفه وانقطاعه .

وشله الداخل الى محل تنبعث منه رائحة قوية تخرق الدماغ ، فلا يطول مقامه ، حتى يضعف فيه ذلك الشعور ، ثم يزول بتاتاً .

ومن هذا القبيل اعتياد المهاجر السكنى في بلاد تختلف هواء ، وماء ، وحراً و برداً عن بلاده التي نزح عنها — فيضويه العناء ، و يقعده العياء ، ثم يألف الهواء والماء ، وتطيب له الاقامة الى ماشاء الله .

***

والعادات اذا استحكمت ، ورسخت تنتقل من الآباء الى الابناء ، من غير ان يتعمد احد منهم نقلها .

و بالاستمرار عليها تزداد قوة ، وتنزل في الاعقاب منزلة الغرائز — فان كانت محمودة دفعت اهلها الى اعلى درجات السعادة ، وان كانت قبيحة حطتهم الى اسفل دركات الشقاء .

وتفعل العادة ايضاً بقوى الانسان العقلية والادبية ، وتكيفها على النحو